تقي الدين أحمد بن علي المقريزي
وكتابه (منتخب التذكرة في التاريخ)

الباحث/ فرح محمد فرج سلام

كلية الآداب– جامعة الزقازيق

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين. أما بعد:

إن التراث الإسلامي الذي يمثل ذاكرة الأمة في احتياج إلى مَنْ يكشف عنه، بل الأمة – الآن– في أشدِّ ما تكون احتياجاً لإحياء تراثها، وخاصة التاريخي منه، لما له من الأهمية لأجيال في طريقها إلى فَقْد هويتها، بانفصالها عن ماضيها وتراثها, الذي يمثل تجارب السلف بما يحمله من إيجابيات وسلبيات، لنتعلم من تاريخ مليء بالتجارب، فنتعرف على عوامل نهوض الدّول, أو أسباب سقوطها، لننهض بأمتنا ، وندفع الآفات عنها بالقدر المُستطاع.

لهذا وغيره الكثير، كانت أهمية تحقيق تراث المسلمين لتنشيط ذاكرة الأمة التي هي حبيسة المتاحف والمكتبات العربية والغربية، والمُقدر بأكثر من خمسة ملايين مخطوطاً ، لم يحقق منها سوى المليون تقريباً، وبعضهم يقول : لم يُحقق منها إلا معشار العشر، ورحم الله الأوائل فلولا ما بذلوه من جهد ما حفظ لنا هذا العلم، كانوا – رحمهم الله – يصنعون الورق بأيديهم، ويصنعون الحبر بأيديهم، ويبرون أقلامهم بأيديهم، ويصنعون الجلود التي تحفظ الكتاب بأيديهم، ويقيدون العلم بأيديهم ، ويعانون في طلب العلم المشاق، فعلينا وإن تقدمت التقنية أن لا نترك هذا التراث العظيم فالمخطوط يحمل القرآن، ويحمل الحديث والتفسير، ويحمل تاريخ الأمة والبنية الأساسية لحضارتها، يحمل كلَّ علم وثقافة فليبادر طلاب العلم لتحقيق ما دوّن من تراثنا الذي انتبه إليه الغرب فاستفاد منه وبنى عليه وانطلق منه .

لهذا تأتي أهمية الموضوع محل البحث.

أهمية البحث:

أمّا المخطوط محل الدراسة والمسمى بـ (منتخب التذكرة) فتأتي أهميته – بالدرجة الأولى – من أهمية مؤلفه – رحمه الله – تقي الدّين المقريزي الذي ترك تراثاً عظيماً في شتى العلوم الشرعية والإنسانية ، طُبع منها جزء يسير، والباقي مازال حبيس المكتبات الاسلاميّة والأوربيّة، أو في عِداد المفقود ، تحتاج مَنْ يبحث عنها ليخرجها الي النور، كما أنَّه في التاريخ الإسلامي العام، ويُؤرخ على غير النمط المحلي الذي تميز به المقريزي في أغلب مؤلفاته، فهو مُؤلف سهل المنال ، شامل جامع بدون تكلف في العبارة، كما أنَّه منتخب من مُؤلفه الكبير (التذكرة) الذي لم يعثر عليه حتى الآن.

ولهذا كانت أهمية مخطوط (منتخب التذكرة) محل الدراسة.

أولاً: المقريزي[1] "دراسة حياة"[2]

اسمه:-

هو: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد ابن أبي الحسن بن عبدالصمد بن تميم، ابن علاء الدين ابن محيي الدين الحسيني العبيدي، البعلبكي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، المقريزي الحنفي ، ثم الشافعي.

وأصل عائلته من بعلبك ، ثم تحول أبوه إلى القاهرة ، وولي بها بعض ولايات من متعلقات القضاة ، كما ولي التوقيع في ديوان الإنشاء[1].

---

[1]- ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر:الجزء الرابع(صـ١٨٧- ١٨٨، تحقيق:حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر،١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:الجزء الخامس عشر صـ٤٩٠-٤٩١، والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي: جـ١ صـ ٤١٥-٤٢٠، تحقيق:/ محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد: (ت: ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب: جـ٩، صـ٣٧٠، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، سبط ابن العجمي، أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل: (ت: ٨٨٤هـ): كنوز الذهب في تاريخ حلب: جـ ٢، صـ ٢٦٧، دار القلم، حلب، طـ١، ١٤١٧هـ، والسخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن: (ت: ٩٠٢هـ): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: جـ٢، صـ٢١-٢٥، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، التبر المسبوك في ذيل السلوك: جـ١، صـ٧٠- ٧١، تحقيق: نجوى مصطفي، ولبيبة إبراهيم، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق المصرية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، الشوكاني، محمد بن علي: (ت: ١٢٥٠هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: جـ١، صـ٧٩-٨١، دار المعرفة – بيروت.

[2]- استفدت في هذه الدراسة من الدراسة الماتعة التي قام بها الأستاذ الدكتور/ **أيمن فؤاد سيد** في مقدمة تحقيقه لمسودة كتاب المؤلف رحمه الله: (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار).

كما استفد كذلك من دراسة أستاذي الدكتور/ **محمد كمال الدين عز الدين على**، (**المقريزي مؤرخاً**) .

نسبه:-

ذهب البعض إلى أنَّ نسب المقريزي ينتهي إلى العُبيديين الفاطميين ، ثم إلى الإمام علي ﷺ[٢]، قال ابن تغري بردي[٣] في كتابه النجوم الزاهرة: "وأملى علىّ نسبه الناصرىّ محمد ابن أخيه بعد وفاته، إلى أن رفعه إلى علىّ بن أبي طالب من طريق الخلفاء الفاطميين"[٤]؛ وقال ابن حجر[٥] في إنباء الغمر: "وذكر لي ناصر الدين أخوه أنه بحث عن مستند أخيه تقي الدين في الانتساب

إلى العبيديين، ذكر له أنه دخل مع والده جامع الحاكم فقال له وهو معه في وسط الجامع: يا ولدي، هذا جامع جدك"[٦]. وهذا يفسر حماس المقريزي في الذبِّ عن نسب الفاطميين

---

[١]- انظر:ابن حجر: إنباء الغمر: جـ ٤، صـ ١٨٧، تحقيق: د حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر،١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

[٤]- اختلف علماء الأنساب والمؤرخون في صحة نسب العبيديين إلى علي بن أبي طالب ﷺ، فممن أنكر نسبهم الباقلاني وابن خلكان. ومن المؤيدين: ابن خلدون والمقريزي، وذلك من خلال ترجمة مؤسس الدولة العبيدية، وهو: المهدي عبيد الله أبو محمد، أول من قام من الخلفاء الخوارج العبيدية الباطنية الذين قلبوا الإسلام، وأعلنوا بالرفض، وأبطنوا مذهب الإسماعيلية، وبثوا الدعاة، يستغوون الجبلية والجهلة، وادعى هذا المدبر، أنه فاطمي من ذرية جعفر الصادق. فقال: أنا عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد؛ وقيل: بل قال: أنا عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وقيل: لم يكن اسمه عبيد الله، بل إنما هو سعيد بن أحمد، وقيل: سعيد بن الحسين. وقيل: كان أبوه يهوديا، والمحققون على أنه دعي، وفي نسب المهدي أقوال: حاصلها أنه ليس بهاشمي ولا فاطمي، وكان موته في نصف ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة، وله اثنتان وستون سنة. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان: جـ٣، صـ١١٧-١١٨، والذهبي: سير أعلام النبلاء: جـ١٥، صـ١٤١-١٥١.

[٥]- هو: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين: مؤرخ بحاثة، من أهل القاهرة، مولدا ووفاة. كان أبوه من مماليك الظاهر برقوق ومن أمراء جيشه المقدمين، ومات بدمشق سنة ٨١٥هـ، ونشأ يوسف في حجر قاضي القضاة جلال الدين البلقيني (المتوفي سنة ٨٢٤ه) وتأدب وتفقه وقرأ الحديث وأولع بالتاريخ وبرع في فنون الفروسية وامتاز في علم النغم والإيقاع، وصنف كتبا نفيسة، منها، «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – ط» و«المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي - ط» الجزء الأول منه، في التراجم، كبير، ومختصره «الدليل الشافي على المنهل الصافي» أكمل بهما الوافي للصفدي، و«مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة- ط» و«نزهة الرائي» في التاريخ، منه الجزء التاسع مخطوط، و «حوادث الدهور في مدى الايام والشهور- ط» أربعة أجزاء منه، جعله ذيلا لكتاب السلوك للمقريزي، و«البحر الزاخر في علم الأوائل والأواخر» مطول في التاريخ، ولد سنة: ٨١٣هـ، وتوفي سنة: ٨٧٤ه. انظر: ابن حجر: الضوء اللامع: جـ١٠، صـ٣٠٥-٣٠٦.

[١]- انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: جـ١٥، صـ٤٩٠.

[٢]- هو: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، الإمام الحافظ المؤرّخ الحافظ المؤرّخ الكبير، صاحب «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، و«الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة»، وغير ذلك من المصنفات النافعة المفيدة القيّمة، ولد في الثاني عشر من شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة في مصر، وكانت وفاته ليلة السبت ثامن عشري ذي الحجة سنة ثمانمائة واثنتين وخمسين. انظر: السخاوي: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر: تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: جـ١، صـ٧٤-٧٥.

[٦]- ابن حجر: إنباء الغمر: جـ ٤، صـ ١٨٨.

مُصححًا إياه،. وإن كان المقريزي – نفسه – لم يذكر ذلك في تصانيفه، قال ابن حجر: "كان في تصانيفه لا يتجاوز في نسبه عبد الصمد بن تميم"[١].

مولد المقريزي:-

ولد المقريزي في حارة برجوان بحي الجمالية في القاهرة الحالية ، واختلف المؤرخون في تعيين تاريخ ميلاده، فقال ابن تغري بردي: "سألت الشيخ تقي الدين – رحمه الله – عن مولده فقال: بعد الستين وسبعمائة بسنيَّات. وكان مولده بالقاهرة"، وقد عيَّنه ابن حجر بقوله: "وكان مولد تقي الدين في سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٦م"، وذهب السيوطي مذهبا ثالثا، فقال: "ولد سنة ٧٦٩هـ". غير أن السخاوي[٢] قال: "وكان مولده حسبما كان يخبر به ويكتبه بخطه بعد الستين يعني وسبعمائة"[٣] وأشار إلى أن ابن حجر: "رأى بخطه (المقريزي) ما يدل على تعيينه في سنة ست وستين وسبعمائة وذلك بالقاهرة"؛ وعليه يكون ما ذكره المقريزي الصواب ، فهو أعلم بذلك من غيره، كما أنه حدد موضع ميلاده في القاهرة.

ولقب المقريزي نسبة إلى حارة المقارزة في بعلبك بلبنان، فأصل أسرته ينحدر إلى مدينة بعلبك اللبنانية الشامية، من أسرة اشتهرت بالعلم والحديث، غير أنه ضاق بهم الحال فتحولوا إلى القاهرة طلبا للرزق وسعة العيش، فقد كانت القاهرة مقصد كل معسر أو طموح، فضلا عما كانت تشتهر

به من العلم والفضل، وولي بها والده بعض الوظائف المتعلقة بالقضاء، وكتابة التوقيع في ديوان الإنشاء، وفي القاهرة أنجب ولده أحمد.

١- ابن حجر: إنباء الغمر: جـ ٤، صـ ١٨٨.

٢- هو: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السّخاوي، أبو الخير، الإمام الحافظ المؤرّخ الكبير، صاحب «الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع»، و«الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التأريخ»، و«المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة»، وغير ذلك من المصنفات المفيدة النافعة، ولد في القاهرة في شهر ربيع الأول من سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، وحفظ القرآن الكريم وهو صغير، وجوّده، ثم حفظ «المنهاج» و«ألفية ابن مالك»، و«ألفية العراقي» ، وغالب «الشاطبية» و«النخبة» لابن حجر، ومقدمة «الشاوي» في العروض، وبرع في العربية، والفقه، والقراءات، والحديث، والتاريخ، وشارك في الفرائض، والحساب، والتفسير، وأصول الفقه، والميقات، وغيرها، وأما مقروءاته ومسموعاته، فكثيرة جدا لا تكاد تنحصر، وأخذ عن جماعة لا يحصون، يزيدون على أربعمائة شيخ، وأذن له غير واحد بالإفتاء، والتدريس، والإملاء، مات في المدينة المنورة يوم الأحد الثامن والعشرين من شعبان سنة اثنتين وتسعمائة، وصلي عليه بعد صلاة صبح يوم الإثنين، ودفن بالبقيع بقرب الإمام مالك رحمه الله تعالى.: ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: جـ١، صـ٧٦-٧٨.

٣- السخاوي: الضوء اللامع: جـ٢، صـ ٢١.

ثقافة المقريزي:-

عكف المقريزي على الدراسة التقليدية لأبناء طبقته، وهي دراسة علوم الدين وحفظ القرآن ومعرفة النحو ودراسة الفقه والتفسير، والحديث، وبعض العلوم الأخرى مثلي التاريخ، وتقويم البلدان، والأدب، والحساب.

شيوخ المقريزي:-

نشأ المقريزي نشأة علمية دينية حسنة، وكان لأسرته عظيم الأثر في ذلك، فقد كفل تعليمه جده لأمه ابن الصائغ الحنفي[١] المحدث المشهور،(ت: ٧٧٦هـ)، الذي قام بتعليمه وتحفيظه القرآن الكريم وأفهمه أصول المذهب الحنفي، فلما بدت عليه علامة النجابة والذكاء أرسله إلى كبار شيوخ عصره فأخذ العلوم التي كانت سائرة في عصره.

وقد ذكر السخاوي أن جملة شيوخ المقريزي ستمائة نفس، منهم: جده لأمه شمس الدين ابن الصايغ الحنفي، والشيخ برهان الدين الآمدي[٢]، وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني[٣]، والحافظ زين الدين العراقي[٤]، ونور الدين الهيثمي[١]، وابن دقماق[٢]، والنجم ابن

١- هو: محمد بن عبد الرحمن بن علي، شمس الدين الحنفي الزمردي، ابن الصائغ: أديب، من العلماء، مصري. ولي في آخر عمره قضاء العسكر وإفتاء دار العدل ودرّس بالجامع الطولوني، ومن كتبه (التذكرة) في النحو، عدة مجلدات، و(المباني في المعاني) و(المنهج القويم في فوائد تتعلق بالقرآن العظيم) و(الغمز على الكنز) في فقه الحنفية، و(الثمر الجني) في الأدب، و(المرقاة، في إعراب لا إله إلا الله) و(الرقم على البردة)، توفي سنة: (٧٧٦هـ). انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة: جـ٥، صـ٢٤٨-٢٤٩.

٢- هو: إبراهيم بن داود بن عبد الله الآمدي ثم الدمشقي برهان الدين نزيل القاهرة مات أبوه وهو صغير على دين النصرانية فحمله وصيه الشيخ عبد الله الدمشقي وأحضره مجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية فأسلم على يده وصحبه ثم صحب أصحابه وأخذ عنهم وتفقه على مذهب الشافعي وسمع الحديث الكثير وطلب بنفسه وكتب الطباق ودار على الشيوخ، وكان دينا خيرا فاضلا، وكان ممتحنا بحب ابن تيمية ونسخ غالب تصانيفه بخطه وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر برياضة وتؤدة ويناظر في مسائل ابن تيمية من غير مماراة وكان حسن الوجه منور الشيبة لطيف المحاضرة ومات في يوم الأحد ثاني عشر شوال سنة (٧٩٧ه). ابن حجر: الدرر الكامنة: جـ١، صـ٢٦-٢٧.

٣- هو: صالح بن عمر بن رسلان بن نصير، قاضي القضاة علم الدين بن شيخ الإسلام سراج الدين، قاضي قضاة الديار المصرية. تفقه بأخيه عبد الرحمن بالقاهرة، وناب عنه في الحكم، ثم تصدر للإفتاء والتدريس بعد موته (سنة ٨٢٤ هـ وولي قضاء الديار المصرية سنة ٨٢٥ - ٨٢٧ وعزل وأعيد ست مرات. من كتبه (ديوان خطب) ستة مجلدات، و(ترجمة والده) مجلد، و(ترجمة أخيه) مجلد، و(الغيث الجاري على صحيح البخاري) مجلدان، و(الجوهر الفرد فيما يخالف فيه الحرّ العبد) رسالة، و(تتمة التدريب) أكمل به كتاب أبيه، و (التجرد والاهتمام بجمع فتاوي الوالد شيخ الإسلام) و(التذكرة) و(القول المقبول فيما يدعى فيه بالمجهول)، وتوفي وهو على القضاء بالقاهرة سنة: (٨٦٨ هـ).بن تغري بردي: المنهل الصافي: جـ٦، صـ٣٢٧-٣٢٩.

٤- هو: عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم المهرانيّ المولد العراقي الأصل الكرديّ الشيخ زين الدين العراقي حافظ العصر، ولد في جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة، وحفظ التنبيه في الفقه، واشتغل بالفقه والقراءات، ولازم المشايخ في الرواية، وصنّف تخريج أحاديث الإحياء وأكمل مسودته الكبرى قديماً ثم بيّضه في نحو نصفه ولم يكمل تبييضه، ثم اختصره في مجلد واحد ولم يبيّضه، وكتبت منه النسخ الكثيرة، وشرع في إكمال شرح الترمذيّ لابن سيد الناس، ونظم علوم الحديث لابن الصلاح ألفيّة وشرحها وعمل عليه نكتاً، وصنّف أشياء أخر كباراً

رزين[٣]،وابن الشيخة[٤]، وحُبِّب إلى المقريزي الرحلة للتزود من العلم كما هي عادة خيرة العلماء، فرحل إلى مكة، وحج واعتمر، وسمع بها من الشمس ابن سكر[٥]، والنشاوري[٦]، وسعد الدين الإسفرايني[٧]، وأجاز له الأذرعي[٨] .

وصغاراً، وصار المنظور إليه في هذا الفن، ولم يُرى في هذا الفن أتقن منه، وعليه تخرّج غالب أهل عصره، وولي شيخنا قضاء المدينة سنة ثمان وثمانين فأقام بها نحو ثلاث سنين ثم سكن القاهرة، مات الشيخ سنة: (٨٠٦هـ). ابن حجر: إنباء الغمر: جـ٢، صـ٢٧٥-٢٧٩.

[١]- هو: علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر بن عمر بن صالح الهيثمي الشيخ نور الدين أبو الحسن ولد سنة خمس وثلاثين سبعمائة، صحب الشيخ زين الدين العراقي وهو صغير، وسمع من المشايخ المصريين ومن ابن الخباز وابن الحموي وابن قيم الضيائية وغيرهم من الشاميين ثم رحل معه جميع رحلاته وحج معه جميع حجاته ولم يكن يفارقه حضراً ولا سفراً وتزوج ابنته وتخرج به في الحديث وقرأ عليه أكثر تصانيفه وكتب عنه جميع مجالس إملائه وخرج زوائد الكتب الستة مسند أحمد والبزار وأبي يعلى ومعاجم الطبراني الثلاثة مفردات ثم جمعها في كتاب واحد محذوف الأسانيد وجمع ثقات ابن حبان فرتبها على حروف المعجم وكذا ثقات العجلي ورتب الحلية على الأبواب وصار كثير الاستحضار للمتون جداً لكثرة الممارسة وكان هيناً ليناً خيراً ديناً محباً في أهل الخير لا يسأم ولا يضجر من خدمة الشيخ وكتابة الحديث، وكان سليم الفطرة كثير الخير كثير الاحتمال للأذى، توفي: سنة (٨٠٧هـ). إنباء الغمر: جـ٢، صـ٣٠٩-٣١٠.

[٢]- هو: إبراهيم بن محمّد بن دقماق صارم الدين مؤرخ الديار المصرية في زمانه كان جده دقماق أحد الأمراء الناصرية ونشأ هو محباً لعلم التاريخ فكتب بخطه منه ما لا يحصى وجمع تاريخاً على الحوادث وتاريخاً على التراجم وجمع طبقات الحنفية وحصلت له بسببه محنة في سنة أربع وثمانمائة، وولي في آخر الأمر إمرة دمياط فلم تطل مدته فيها، ورجع إلى القاهرة فمات بها في ذي الحجة في أواخرها وقد جاوز الستين. ابن حجر: إنباء الغمر: جـ٢، صـ٣٦٠.

[٣]- هو: عبد الرحيم بن عبد الكريم بن عبد الرحيم بن رزين، نجم الدين الحموي الأصل، القاهري، مات في جمادى الأولى سنة احدى وتسعين وسبعمائة وله إحدى وتسعون سنة. إنباء الغمر: جـ١، صـ٣٨٦.

[٤]- هو: عبد الرحمن بن احمد بن مبارك بن حماد بن تركي بن عبد الله الغزي ثم القاهري أبو الفرج ابن الشيخة نزيل القاهرة، ولد سنة أربع عشرة أو خمس عشرة وسبعمائة، وطلب بنفسه وتيقظ وأخذ الفقه عن السبكي وغيره، وكان يقظاً نبيهاً مستحضراً، وكان يتكسب في حانة بزاز ظاهر باب الفتوح، ثم ترك، وكان صالحاً عابداً قانتاً، توفي سنة تسع وتسعين وسبعمائة. ابن حجر: إنباء الغمر: جـ١، صـ٥٣٥-٥٣٦.

[٥]- هو: محمد بن علي بن محمد بن علي بن ضرغام بن عبد الكافي البكري شمس الدين أبو عبد الله بن سكر الحنفي المصري نزيل مكة، ولد سنة ثمان عشرة وسبعمائة، وطلب الحديث والقراءات ، وكتب بخطه ما لا يحصى من كتب الحديث والفقه والأصول والنحو وغيرها، توفي في صفر سنة احدى وثمانمائة. ابن حجر: إنباء الغمر: جـ٢، صـ٨٥.

[٦]- هو: عبد الله بن محمد بن محمد بن سليمان النيسابوري الأصل، ثم المكي المعروف بالنشاوري، ولد سنة خمس وسبعمائة، وقيل قبل ذلك، حضر إلى القاهرة في أواخر عمره وحدث، ثم رجع إلى مكة مات بها في ذي الحجة سنة تسعين وسبعمائة.ابن حجر: إنباء الغمر: جـ١، صـ٣٥٨-٣٥٩.

[٧]- هو: سعد الله بن عمر بن محمد بن علي، الشيخ سعد الدين أبو السعادات الإسفراييني الصوفي نزيل مكة، وحدث بمكة، وجاور بها سنين إلى أن مات بها بعد الحج سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة، ودفن بالمعلاة، رحمه الله تعالى. ابن تغري بردي: المنهل الصافي: جـ٥، صـ٣٨٦-٣٨٧.

[٨]- هو: أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الغني بن محمد بن أحمد بن سالم بن داود الأذرعي، شهاب الدين، نزيل حلب، ولد سنة سبع وسبعمائة، وتفقه بدمشق قليلاً، وناب في بعض النواحي في الحكم بها، ثم تحول إلى حلب فقطنها، وناب في الحكم بها، ثم ترك وأقبل على الاشتغال والتصنيف والفتوى، مات في نصف جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة. ابن حجر: إنباء الغمر: جـ١، صـ٢٤١-٢٤٢.

والإسنوي[١]، وسمع ببلاد الشام من الحافظ أبي بكر ابن المحب[٢] وناصر الدين ابن محمد بن داوود[٣] وطائفة، واشتغل كثيرا بالعلم والتعلم ، وطاف على الشيوخ ، ولقي الكبار، وجالس الأئمة فأخذ عنهم.

وكان من أشهر مَنْ أخذ عنهم المقريزي ابن خلدون[٤](ت: ٨٠٨هـ)، عندما جاء إلى القاهرة (٧٨٤هـ) في أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، حيث عقد ابن خلدون حلقاته الدراسية التي طرح فيها آراءه وأفكاره حول التاريخ، التي جمعها في مقدمة كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر، فتأثر المقريزي بآراء ابن خلدون، ووصفه بأنه أستاذه، ويكرر ذلك كثيرا في كتابيه الخطط والسلوك: "قال شيخنا الأستاذ أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون .."، ويتضح هذا التأثير في كتابات مؤرخنا التي تعلو فيها النغمة الاقتصادية والاجتماعية، كما

١- هو: عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر، جمال الدين أبو محمد القرشي الأموي الإسنوي الشافعي، ولد بإسنا من صعيد مصر في أواخر سنة أربع وسبعمائة، وبها حفظ القرآن، ثم قدم القاهرة في سنة إحدى وعشرين، برع في الفقه، والأصلين، والعربية، والعروض، والتاريخ، والحديث، والتفسير، تولى نظر دار الطراز والحسبة ووكالة بيت المال، ودرس بالملكية والاقبغاوية والفارسية، وتدريس التفسير بالجامع الطولوني، وأعاد بالناصرية، ودرس بالصالحية، والمنصورية، توفي ليلة الأحد ثامن عشر جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة بالقاهرة فجأة. انظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي: جـ٧، صـ٢٤٢-٢٤٥.

٢- هو: محمد بن المحب عبد الله بن أحمد بن المحب عبد الله الصالحي أبو بكر بن المحب المقدسي الحنبلي المعروف بالصامت، الحافظ شمس الدين، ولد سنة ٧١٣ه، طلب العلم بنفسه فأكثر، وقد جمع مجاميع ورتب أحاديث المسند على الحروف ونسخ تهذيب الكمال وكتب عليه حواشي مفيدة وبيض من مصنفات ابن تيمية كثيراً، وكان معتنياً به محباً فيمن يحبه، مات في خامس ذي القعدة سنة تسع وثمانين وسبعمائة. انظر: ابن حجر: إنباء الغمر: جـ١، صـ٣٤٣-٣٤٤.

٣- هو: محمد بن محمد بن داود بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمرو المقدسي الصالحي الحنبلي ناصر الدين، ولد سنة ثمان وسبعمائة، مات في رجب سنة ست وتسعين وسبعمائة. انظر: ابن حجر: إنباء الغمر: جـ١، صـ٤٨٣.

٤- هو: عبد الرحمن بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن الحسن بن محمّد بن جابر بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد ابن عبد الرحيم الحضرمي المغربي المالكي المعروف بابن خلدون، ولد سنة ٧٣٣ه، برع في العلوم وتقدم في الفنون ومهر في الأدب والكتابة، وولي كتابة السر بمدينة فاس لأبي عنان ولأخيه أبي سالم ورحل إلى غرناطة سنة تسع وستين، وكان ولي بتونس كتابة العلامة، ثم ولي الكتابة بفاس، ثم اعتقل سنة ثمان وخمسين نحو عامين، ودخل بجاية بمراسلة صاحبها فدبّر أموره، ثم رحل بعد أن مات، إلى تلمسان باستدعاء صاحبها فلم يقم بها، ثم استدعاه عبد العزيز بفاس فمات قبل قدومه فقبض عليه، ثم تخلّص فسار إلى مراكش، وتنقّلت به الأحوال إلى أن رجع إلى تونس سنة ثمانين فأكرمه سلطانها فسعوا به عند السلطان إلى أن وجد غفلة ففرّ إلى المشرق، وذلك في شعبان سنة أربع وثمانين، ثم ولي قضاء المالكية بالقاهرة، ثم عزل وولي مشيخة البيبرسية ثم عزل عنها ثم ولي القضاء مراراً كان آخرها في رمضان من هذه السنة فباشره ثمانية أيام فأدركه أجله، وكان ممن رافق العسكر إلى(تيمورلنك) وهو مفصول عن القضاء، واجتمع بتيمورلنك فأعجبه كلامه وبلاغته وحسن ترسّله إلى أن خلّصه الله من يده، وصنّف التاريخ الكبير في سبع مجلّدات ضخمة ظهرت فيه فضائله وأبان فيه عن براعته، ولم يكن مطّلعاً على الأخبار على جليّتهاا أخبار المشرق وهو بين لمن نظر في كلامه، وكان لا يتزيّا بزيّ القضاة بل هو مستمر على طريقته في بلاده، مات في خامس عشر رمضان سنة ثمان وثمانمائة، قال لسان الدين بن الخطيب في تاريخ غرناطة: رجل فاضل جمّ الفضائل رفيع القدر أصيل المجد وقور المجلس عالي الهمّة قويّ الجأش متقدّم في فنون عقلية ونقلية متعدد المزايا شديد البحث كثير الحفظ صحيح التصوّر بارع الخط حسن العشرة مفخر من مفاخر المغرب، قال: هذا كله في ترجمته والمذكور في حد الكهولة. انظر: ابن حجر: إنباء الغمر: جـ٢، صـ٣٣٩- ٣٤٠.

تتجلى فيها الرؤية التحليلية الناقدة للأحداث التاريخية ، بل إذا ما صحت نسبة كتاب " الدرر المضية في الدول الإسلاميَّة " إلى المقريزي ، يكون فيها دليل أوفر في انتفاعه به وتأثره بمنهجه في الكتابة التأريخية ، كون الكتاب مؤسساً على الجزء الثالث من العبر لابن خلدون ، مع مداخلته ببعض النقول عن غيره في مواضع يسيرة منه .

مذهب المقريزي الفقهي:-

تفقه المقريزي في أول أمره على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة، وهو مذهب جده لأمه الشيخ شمس الدين ابن الصائغ الحنفي، وحفظ فيه كتبا، ثم لما ترعرع وجاوز العشرين ومات أبوه سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٣م تحول إلى المذهب الشافعي، وتعمق فيه ، وصار من كبار الشافعية ، متعصبا لهم، ويظهر ذلك في تحامله على الحنفية في ترجمته لهم ،النحو المُفصح عنه لدي ابن تغري بردي، وكانت ظاهرة التحول من مذهب إلى آخر منتشرة بين المعاصرين. كما اتهم المقريزي بالميل إلى مذهب الظاهر، مع أن والده وجده لأبيه كانا حنبليين، قال ابن حجر: "وأحب إتباع الحديث فواظب على ذلك حتى كان يتهم بمذهب ابن حزم، ولكنه كان لا يعرف به"

وكان – رحمه الله – سلفيّ العقيدة، أثريًّا على الجادة، محبًا للسلف – رحمهم الله – يثني على مذهبهم وعقيدتهم ، و يدافع عنها في وقت انتشار العقائد المخالفة[1].

تلاميذ المقريزي:-

أصبح المقريزي علما من أعلام عصره بعد أن جمع من الفنون والعلوم الكثير، فقصده طلبة العلم من الآفاق، وتتلمذ عليه عدد من فطاحل العلماء والمؤرخين الكثير والكثير، منهم: يوسف بن تغري بردى (ت: ٨٧٤هـ)، والحافظ السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، وقاسم بن قُطلُوبغا الحنفي (ت:٨٧٩هـ)، صاحب كتاب تاج التراجم، وقد جمعه من تذكرة شيخه المقريزي .

مناصب المقريزي:-

عاصر المقريزي دولة المماليك البحرية ودولة المماليك البرجية، وشارك في الحياة العامة ، فقد تقلب في العديد من الوظائف الديوانية حيث باشر التوقيع السلطاني عند القاضي بدر

[1]- انظر: ابن حجر: إنباء الغمر : جـ٤، صـ١٨٧. ابن تغري بردي: المنهل الصافي: جـ١، صـ٤١٦. السخاوي: الضوء اللامع: جـ٢، صـ٢١- ٢٣، التبر المسبوك: جـ١، صـ٧١ – ٧٢. الشوكاني: البدر الطالع: جـ١، صـ٧٩.

الدين محمد ابن فَضْل الله العُمَري جالساً بقاعة الإنشاء المجاورة لقاعة الصاحب بقلعة القاهرة إلى نحو سنة ٧٩٠هـ.

وفي ١١ رجب سنة ٨٠١ هـ تولي المقريزي حسبة القاهرة والوجه البحري عِوَضاً عن شمس الدين محمد المحاسني وفي ١٧ ذي القعدة من العام نفسه خُلِعَ عليه وكُتِبَ له بحِسْبة القاهرة بعد تولي الناصر فرج بن برقوق ثم عُزل بالقاضي بدر الدين العيني في ٢٦ ذي الحجة من نفس العام ولا شك ان شغله لوظيفة الحسبة قد منحه تدريباً عملياً حول بعض القضايا الاقتصادية استعان بها في مؤلفاته وخاصة "إغاثة الأمة"، كما أن مباشرته التوقيع السلطاني بديوان الإنشاء عَرَّفه بعالم رجال الدولة ومشاكله التي لا شك في أنه أفاد منها كمؤرخ في ما بعد[١] .

وسافر المقريزي مع السلطان الناصر فرج بن برقوق في سنة ٨١٠هـ / ١٤٠٧م إلى دمشق ثم ما لبث أن عاد إلى القاهرة بعد مكوثه بها فترة من الزمن، وتردد بعد ذلك على دمشق مرات عديدة ، وتولى فيها أعمالاً عدة، منها النظر في الوقف القلانسي ، والبيمارستان النوري ، وباشر – أيضا –تدريس الحديث الشريف في مدرستي الإقبالية والأشرفية بدمشق، وعرض عليها قضاء دمشق من قبل الناصر فرج ، فرفض ذلك مرارا.

ثم عاد المقريزي إلى القاهرة بعد مكوثه في دمشق عشر سنوات، وآثر التفرغ للعلم والدرس حتى اشتهر ذكره وبعد صيته، بعد أن سئم الوظائف الحكومية. ولكن بعد ذلك ترك القاهرة إلى مكة لغرض الحج سنة ٨٣٤هـ/١٤٣١م, ومكث هناك خمس سنوات، ظل فيها يدرس ويصنف الكتب، ويحدث بها، ثم رجع بعدها إلى القاهرة سنة ٨٣٩هـ / ١٤٣٥م وسكن في حارته – حارة برجوان – التي نشأ وترعرع فيها، وأضحت داره ندوة للعلم ومقصد الطلاب والعلماء، وقضى فيها بقية حياته [٢].

مدرسة المقريزي التاريخية:-

كان المقريزي يتمتع بشخصية مرموقة بين سائر المؤرخين الإسلاميين المصريين من حيث دقته في الرواية ونشاطه الواسع وعمله الدؤوب وسعة دائرة بحوثه ودراساته واهتمامه الفائق

[١] - انظر: أيمن فؤاد: مسودة الخطط: صـ٤١-٤٢.

[٢] - انظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي: جـ١، صـ ٤١٦ – ٤١٧، والسخاوي: الضوء اللامع: جـ٢، صـ٢٢.

بالجانب الاجتماعي والإحصائيات السكانية التاريخية، ويمكن عده إلى حد ما مؤسسا لمدرسة تاريخية كان لها ازدهارها في مصر آنذاك وبزغت منها أسماء مشرقة كالعيني وابن حجر من معاصري المقريزي، وأبي المحاسن ابن تغري بردي، تلميذه ، ثم السيوطي، وابن إياس الذي شهد الفتح العثماني.

كان المقريزي ولعًا بالتاريخ، واشتهر ذكره في حياته وبعد موته في التاريخ، حتى صار يضرب به المثل، قال ابن تغري بردي: "وفى الجملة هو أعظم مَنْ رأيناه وأدركناه في علم التاريخ وضروبه، مع معرفتي لمن عاصره من علماء المؤرخين، والفرق بينهم ظاهر؛ وليس في التعصب فائدة".

وأهم ما يميز المقريزي عن معاصريه، وعمن جاءوا بعده منهجه في عرض الأحداث التاريخية وقدرته التحليلية : فقد وصف لنا الحوادث التي عاصرها بعبارة حية، وأسلوب بديع زاده جمالا إدراكه للعلاقة السببية بين الظواهر التاريخية. فقد كانت ملحوظاته الذكية على الحياة اليومية في القاهرة زمن سلاطين المماليك، وموقفه المنحاز إلى الناس – صناع الحياة الحقيقيين– سابقة بعدة قرون على ما نسميه اليوم التاريخ الاجتماعي.

لقد كان المقريزي مثالا متكررا للمثقف الموسوعي الذي أنجبت الحضارة العربية الإسلامية المئات من أمثاله، وهو جدير بحق أن يكون كما قال الدكتور محمد مصطفى زيادة: "إن المقريزي عميد المؤرخين السالفين جميعا من ابن عبد الحكم إلى الجبرتي"[1].

المقريزي مؤرخ مصر الإسلامية:-

يعد المقريزي مؤرخ مصر بلا منازع، فقد شمل في مؤلفاته تاريخ مصر السياسي والحضاري منذ عهد الفتح الإسلامي الى عصر دولة المماليك البحرية والمماليك البرجية، وقد نعته بذلك السيوطي بقوله: "المقريزي تقي الدين .. مؤرخ الديار المصرية".

[1]- انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: جـ١٥، صـ٤٩١، والسخاوي: الضوء اللامع: جـ٢، صـ٢٢، ومقدمة تحقيق كتاب المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

ومن خلال مصنفاته –رحمه الله– في الكتابة التاريخية وغير التأريخية، نجد أنه قد ألح من خلالها علي التوكيد علي ثلاث صفات امتاز بها، وهي: إسلامه، عروبته، مصريته .

وأما إسلامه، فيتبدى– فضلا عن العاطفة الدينية الجياشة، المبثوثة في سائر مؤلفاته– في (إمتاع الأسماع) ، وقد جعله تاريخا مجملا للرسول ﷺ– وسيرته، و (النزاع والتخاصم) وهو مبحث في الخلافة، و (التذكرة) و (منتخبها) و (الدرر المضيئة) و (الإلمام) .

وأما عروبته، فقد كانت دافعا قويا لديه في إنشاء عدة مؤلفات، منها (الخبر عن البشر) و (البيان والإعراب) و (تراجم ملوك المغرب) و (الطرفة الغريبة) .

أما مصريته، فتبدو في تحمسه للتأريخ لمصر في أطوارها المختلفة، فيما قبل الإسلام وبعده، حيث أنشأ فيها مؤلفاً مجملاً، لتاريخها، وخططها، وعمرانها– منذ القدم حتى وفاته– وهو: (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، ثم عمد إلي تفصيل أكثر، أجمل فيه التأريخ لمصر الإسلامية، منذ الفتح الإسلامي لها وإلي قبيل وفاته، في عدة مؤلفات متتابعة، وهي: (عقد جواهر الأسفاط) و (اتعاظ الحنفاء) و (السلوك) و (المقفى).

وقد جعل من هذه المؤلفات تاريخا عاما للدولة الإسلامية في مختلف أطوارها وأمصارها [1].

آراء العلماء في المقريزي.

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله (ت: ٨٥٢هـ): "كان إمامًا بارعًا مفننًا متقنًا ضابطًا دينًا خيرًا، محبًا لأهل السنة يميل إلى الحديث والعمل به ...، حسن الصحبة، حلو المحاضرة".

وقال: "ولَهُ النظم الْفَائِق والنثر الرَّائِق والتصانيف الباهرة خُصُوصا في تَارِيخ الْقَاهِرَة فإنه أَحْيَا معالمها وأوضح مجاهلها وجدد مآثرها وَترْجم أعيانها".

وقال تلميذه ابن تغري بردي (ت:٨٧٤هـ): "الشيخ الإمام العالم المحدث المفنن، عمدة المؤرخين، ورأس المحدثين، تقيّ الدين". وقال في المنهل الصافي: "صنف التصانيف المفيدة النافعة الجامعة لكل علم، وكان ضابطًا مؤرخًا، مفننًا، محدثًا، معظمًا في الدول ...، كتب

[1]- انظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي: جـ ١، صـ ٤١٨- ٤١٩، والسخاوي: الضوء اللامع: جـ٢، صـ٢٢-٢٣، التبر المسبوك: جـ١، صـ٧٣-٧٥، السيوطي، عبد الرحمن ابن أبي بكر:(ت: ٩١١هـ): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: جـ١، صـ٥٥٧، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، طـ١، ١٣٨٧ هـ- ١٩٦٧م، الشوكاني: البدر الطالع: جـ١، صـ٨٠-٨١، والزركلي: الأعلام: جـ١، صـ١٧٧- ١٧٨.

الكثير بخطه، وانتقى أشياء، وحصل الفوائد، واشتهر ذكره في حياته وبعد موته في التاريخ وغيره، حتى صار به يضرب المثل.

وكان له محاسن شتى، ومحاضرة جيدة إلى الغاية لا سيما في ذكر السلف من العلماء والملوك وغير ذلك، وكان منقطعًا في داره، ملازمًا للعبادة والخلوة، قل أن يتردد إلى أحد إلا لضرورة ...، وقرأت عليه كثيرًا من مصنفاته، وكان يرجع إلى قولي فيما أذكره له من الصواب، ويغير ما كتبه أولًا في مصنفاته، وأجاز لي جميع ما يجوز له وعنه روايته من إجازة وتصنيف وغير ذلك".

وقال الحافظ السخاوي (ت:٩٠٢هـ): "نظر فِي عدَّة فنون وشارك فِي الْفَضَائِل وَخط بِخَطِّهِ الْكثير وانتقى وَقَالَ الشّعْر والنثر وَحصل وَأفَاد"، إلا أنه ذمه في موضع آخر فقال: " وَكَانَ حسن المذاكرة بالتاريخ لكنه قَلِيل الْمعرفَة بالمتقدمين وَلذَلِك يكثر لَهُ فيهم وُقُوع التحريف والسقط وَرُبمَا صحف فِي الْمُتُون".

ونسب إلى المقريزي – فيما نقله عن شيخه ابن حجر العسقلاني – الإغارة على خطط الأوحدي المؤرخ، قائلاً: "وَهُوَ مُفِيد لكَونه ظفر بمسودة الأوحدي فَأَخذهَا وزادها زَوَائِد غير طائلة". وعلى الرغم من أنَّ المقريزي لم يشر إليه في المقدمة ضمن المصادر التي استقى منها كتابه الخطط، كما لم يحل عليه من داخله ، إلا أنّه اعترف بذلك في مؤلف آخر له – درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة – مشيراً إلى أنَّ خططه – الإفادة والاعتبار – تضمنت هذا الكتاب ،وهو من مصادر السخاوي في الضوء اللامع ، وكان الأولى به أن ينبه إلى ذلك كونه اطلع عليه واقتبس منه .

غير أن السخاوي مع شدته كان يقول إن المقريزي كان على جانب عظيم من "حسن الخلق وكرم العهد، وكثرة التواضع وعلو الهمة لمن قصد، والمحبة في المذاكرة، والمداومة على التهجد والأوراد، وحسن الصلاة ومزيد الطمأنينة، والملازمة لبيته"[1].

وفاة المقريزي:-

[1] - انظر: ابن حجر: إنباء الغمر: جـ٤، صـ١٨٨، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: جـ١٥، صـ٤٩٠، والمنهل الصافي: جـ١، صـ٤١٦ -٤١٧، والسخاوي: الضوء اللامع: جـ٢، صـ٢١- ٢٣، والتبر المسبوك: جـ١، صـ٧٦ - ٧٧، والسيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: جـ١، صـ٥٥٧، والشوكاني: البدر الطالع: جـ١، صـ٨٠، وكرم حلمي فرحات: مقدمة كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة: صـ١٧- ٢٠، عين للدراسات والبحوث، ط١، ١٤٢٧- ٢٠٠٧.

قال ابن تغري بردي: "ولم يزل (شيخه المقريزي) ضابطًا حافظًا للوقائع والتاريخ إلى أن توفي يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م، ودفن من الغد بمقبرة الصوفية (البيبرسية) خارج باب النصر من القاهرة، رحمه الله تعالى"[١].

فرحم الله المقريزي وجزاه عن الإسلام والمسلمين وتاريخ الأمة خير الجزاء.

ثانياً: وصف مخطوط "منتخب التذكرة".

اعتمدت هذه الدراسة على المجلد الأول- المتبقي- من هذا المُؤلف، في مصورته المحتفظ بها لدى" دار الكتب المصرية" في القاهرة ، برقم : ١٦٥٨- تاريخ، عن مخط. المكتبة الأهلية- باريس، ذات الرقم : ١٥١٤- عرب، وتقع في نحو (١٦٦) ورقة، لطيفة الحجم، مزدوجة الصفحات، باستثناء أولها وأخرها، مسطرته نحو أربعة عشر سطراً، وقد جاء على صفحة الغلاف قوله: "كتاب منتخب التذكرة في التاريخ ، تأليف الإمام العلامة، تقي الدين، أبو بكر (كذا) المقريزي، تغمده الله برحمته ورضوانه آمين "

كما جاء في الهامش الأيسر من الصفحة عينها قوله: " ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام قال: في سنة ٨٤٣ من الهجرة، أحسن الله ختامها، توفي في عصر يوم الخميس سادس عشري شهر رمضان من السنة المذكورة عن نحو الثمانين مؤرخ الوقت تقي الدين أبو العباس، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، القاهري، مصنف هذا الكتاب، رحمه الله " .

ولا يخفى وجه الخطأ في نسبة هذا القول إلى الذهبي ، وفي تأريخ وفاته ، ولعل ذلك منقول عن أحد الذيول التي وضعت على بعض مؤلفات الذهبي كتاريخ الإسلام ، ودول الإسلام ، وسير أعلام النبلاء.

وهو مُؤلف في التاريخ الإسلامي العام، اقتصر فيه " المقريزي" علي ذكر" العرب والفرس" دون غيرهم " من الأمم المطيفة بهم في الأرض" ،انتخبه من مُؤلف أبسط منه أسماه " التذكرة "، فكان ما أودعه في هذا المُؤلف " اللُب منه ".

[١] - انظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي: جـ١، صـ٤٢٠. سبط ابن العجمي: كنوز الذهب في تاريخ حلب: جـ٢، صـ ٢٦٨. الشوكاني: البدر الطالع: جـ١، صـ٨١.

أما التذكرة، فلم يبق منه–فيما أعلم– سوى ما لخصه "ابن قطلوبغا الحنفي[١]" عنه في مُؤلفه " تاج التراجم"، وأما "منتخب التذكرة"، فلم يتبقى منه سوى مجلد لطيف الحجم، انخرم في آخره فأراد الناسخ إيهام اكتماله، مُذَيلاً آخر صفحاته بقوله: " تم الكتاب، بحمد الله وحُسن توفيقه".[٢]

ويحتوي هذا المجلد من "المنتخب" على مقدمة ،أشار" المقريزي " فيها إلى موضوع الكتاب ومنهجه في إراد محتواه، قائلاً: "..... وبعد؛ فهذا كتاب عديم المثال، قريب التناول، في جمل التاريخ، انتخبته من كتابي المسمى "بالتذكرة"، فأقول وبالله التوفيق: اعلم أن أبلغ المواعظ التفكر في القرون السالفة، الأعصار، بانقراض جيل بعد جيل، وفناء قبيل أثر قبيل، وقد نبهنا الله_ تعالى_ على ذلك بقوله: ﴿ **أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦)**﴾ [السجدة/ ٢٦]، فجعل الاعتبار بهم هداية لمن عقل ووعى.

وقال تعالى : ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)**﴾ [غافر/ ٨٢] إلى غير ذلك من الآيات.

وأنا أذكر في هذا الكتاب جملاً من تاريخ الملوك والأعيان، ومدة مُلك كل واحد منهم، ووقت انقضائه، وأنسابهم، وتلخيص أحوالهم، عادلاً عن الإطالة، ومتنكباً شرح الحوادث، فإن ذلك موجود في كتب التواريخ على شدة الاختلاف فيه، وهذا إنما اللب من الكتاب[٣]، فلا يليق به أبسط مما ضمنته، ثم اقتصر على ذكر العرب والفرس، فإن من عداهم من الأمم المطيفة بهم في أطراف الأرض لا نجد فائدة في تكلف علم أحوالهم، ولا وقعت إلينا مُتسقة، وفيما

[١] - هو: قاسم بن قطلوبغا الزين وربما لقب الشرف أبو العدل السودوني، ويعرف بقاسم الحنفي، ولد سنة اثنتين وثمانمائة تقريبا بالقاهرة، ونشأ بها، وحفظ القرآن العظيم، ثم أخذ في الجدّ، حتّى شاع ذكره، وانتشر صيته، وأثنى عليه مشايخه، وصنّف التصانيف المفيدة، فمن تصانيفه «شرح درر البحار» و«تخريج أحاديث الاختيار»، و«رجال شرح معاني الآثار للطحاوي»، و«تخريج أحاديث البزدوي»، و«أحاديث الفرائض» كذلك، و«تخريج أحاديث شرح القدوري»، «وثقات الرجال»، و«تصحيح على مجمع البحرين» لابن الساعاتي، و«شرح فرائض المجمع» و«حاشية على التلويح»، و«شرح منظومة ابن الجزري» في علم الحديث المسماة ب «الهداية»، وغير ذلك، وتوفي في ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وثمانمائة عن سبع وسبعين سنة. انظر: ابن العماد: شذرات الذهب: جـ٩، صـ٤٨٧- ٤٨٨.

[٢]- المقريزي: منتخب التذكرة: ق ١٦٦/ أ .

[٣] - يقصد التذكرة .

وقفت عليه كفاية للمعتبر، وفائدة ما تحويه من معرفة أهل كل زمان، والله المُيسر لما يُرضيه، والموفق لاجتناب ما يُسخطه، ويُباعد عن طاعته".

ثم يتبع ذلك عرض سريع لمبدأ الخليقة، مبتدأ بآدم أبي البشر عليه السلام وأولاده من بعده، ثم إدريس عليه السلام، ثم نوح عليه السلام، وأولاده، وهود عليه السلام، يتلوه تعريف موجز بملوك العرب مبتدأ بملوك قحطان، فالفرس في الجاهلية (فيما قبل الإسلام)، وكأنه جعل منهما مدخلاً لموضوع الكتاب، ثم يبدأ التأريخ للدولة الإسلامية بسيرة موجزة للرسول-ﷺ- تضمنت العناصر التالية:-

نسبه، أمه، مولده، هجرته، وفاته، سنه حال الوفاة، ما تبع الوفاة من تجهيز ودفن، أحواله - ﷺ - قبل البعثة وبعدها، صفته، أزواجه، أولاده، مواليه، كُتابه، ما كان له - ﷺ - من الخيل والبغال والإبل واللقاح والسلاح، حجه، غزواته .

متبعاً سيرته - ﷺ - بترجمات قصيرة للخلفاء في دولتي الخلافة الراشدة والخلافة الأموية ، مُزيلاً على ترجماتهم بحوليات متتابعة، " منذ أول سني الهجرة " إلى آخر أيام بني أميَّة(١ : ١٣٢هـ) أقتضب فيها الحوادث اقتضاباً، منبهاً من خلالها على مشاهير المواليد والوفيات، يستأنف بعدها الترجمة لخلفاء بني العباس (الدولة الهاشمية) ابتداءً بأبي العباس السفاح، وانتهى بالمقتفي لأمر الله (ت ٥٥٥هـ /١١٦٠ م)، مُذيلاً على ترجماتهم بحوليات موجزة، اقتضب فيها - كذلك- الحوادث، ابتداءً بسنة ثلاث وثلاثين ومائة، وانتهاء بسنة سبعين ومائتين للهجرة، حيث انخرم هذا المجلد المتبقي من الكتاب.

منهج المقريزي في ذكر الحوادث:-

اتبع المؤلف رحمه الله الإقتضاب في الحوليات المتتابعة فلم يستوف جميع الحوادث، أو الوفيات في المصادر المعهودة، إنما انتخب بعض الحوادث التي رأى اثباتها دون سواها في هذا الكتاب، وكان الانتخاب وفقاً للحوادث السياسية دون غيرها من الحوادث" اجتماعية- اقتصادية"، وهذا الغالب على الكتاب، فالجانب السياسي يشغل نسبة كبيرة جداً من حوادث الكتاب.

ولم يسر المؤلف - رحمه الله - على وتيرة واحدة في ذكر الحوادث من حيث الاقتضاب والتفصيل، فبعض الحوادث مقتضبة جداً، منها: "وفيها: صعد عثمان رضي الله عنه المنبر، فتسنم

ذروته، وأراد أن يقيل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بالهرمزان، فمنعته حفصة بنت عمر رضي الله عنهما "[1]

وأيضاً: " وفيها: اجتمع القوم لمناظرة عثمان رضي الله عنه فيما كانوا نقموا لأجله[2].

وأيضاً: " وفيها: اعتزل الخوارج علياً عليه السلام، وكان من أمرهم ما هو مشهور[3].

* كما أنه – رحمه الله – قد فصل بقدر ما حوادث أخرى ومنها: " كره الشيعة أبا مسلم لحداثته، وخُص بذلك سليمان بن كثير [٨٩/ أ] وكان أبو داود غائباً، فقدم فوبخهم على ردهم، وأعلمهم أنهم عصاة، فردوا أبا مسلم من قُومِسُ، وولوه أمرهم، وأطاعوه، فأسر في نفسه على سليمان بن كثير، وعرف لأبي داوود ما فعل، وبث الدعاة في أقطار خُراسان، ودخل الناس أفواجاً، وفشت الدعوة في خُراسان كلها، وكتب إليه إبراهيم بن محمد أن يوافيه في الموسم، ويحمل ما اجتمع عنده من أموال، وقد كان اجتمع ثلثمائة ألف وستون ألف درهم، فاشترى بأكثرها من القوهي والمروي والحرير، وصير بقيتها سبائك ذهب وفضة، وجعلها في الأقبية المحشوة، واشترى البغال للأثقال والشيعة، وخرج في النصف من جمادى الآخرة ومعه النقباء، قُحطبة بن شبيب، والقاسم بن مجاشع، وطلحة بن زريق، ومن الشيعة أحد وأربعون رجلاً بالسلاح، فأخذ على مفازة أبيورد، ثم انتهى إلى أندومان، فلقيه كتاب إبراهيم ولواء وراية، يأمره بالانصراف حيث يلقاه الكتاب، وأن يُظهر الدعوة، فعقد اللواء والراية، واجتمع إليه الشيعة، وجهز قُحطبة بالمال والأحمال إلى إبراهيم [٨٩/ ب] وسار أبو مسلم حتى قدم مرو مستخفياً، فنزل قرية خالد بن إبراهيم الذهلي أول يوم من شهر رمضان، ودفع كتاب الإمام إلى سليمان بن كثير، وكان فيه " اظهر دعوتك، ولا تربص، واقعد لليلة الخميس لخمس بقين من شهر رمضان سنة تسع وعشرين ومائة"، ووجه أبو مسلم أبا الجهم بن عطية إلى العلاء بن حريث بخوارزم، أن يظهر الدعوة في الليلة، فإن اعجلهم عدوهم دون الوقت فقد حل لهم أن يدفعوا عن أنفسهم، وأن يجردوا السيوف ويجاهدوا، وإن شغلهم عدوهم عن الوقت فلا حرج عليهم أن يظهروا بعد الوقت، فلما كان يوم الميعاد عقد اللواء ويسمى الظل، والراية

[1] - انظر: حوادث سنة أربع وعشرين.
[2] - انظر: حوادث سنة أربع وثلاثين.
[3] - انظر: حوادث سنة سبع وثلاثين.

وتسمى السحاب، وهو يتلوا ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** ﴾ [الحج/آية٣٩] ولبس السواد هو وسليمان، وسليم أخوه، ومن كان أجاب الدعوة من أهل سفيذنج، وبها كان خروجه لتلبيد، وأوقدوا النيران ليلته، وهي كانت العلامة، فتجمع إليه الشيعة، وأتوه حين أصبحوا مُغِذين من كل جانب، ولما كان يوم العيد أمر أبو مسلم سليمانَ [٩٠/ أ] ابن كثير أن يصلي به وبالشيعة، وأن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة، وأن يكبر في الركعة الأولى ست تكبيرات تباعاً، ثم يقرأ ويركع ، ويفتتح الصلاة بالتكبير، ثم يختمها بالقرآن.

وكانت بنو أُمية تكبر في الركعة الأولى من يوم العيد أربع تكبيرات، وفي الثانية ثلاث تكبيرات، وكانت تبدأ بالخطبة بأذان، ثم الصلاة بإقامة على رسم صلاة الجمعة، ويخطبون على المنابر جلوساً في الجُمع والأعياد، وكان أبو مسلم يكتب إلى أصحابه وهو في الخندق للأمير نصر، فلما قوى بمن اجتمع إليه بدأ بنفسه، وكتب إلى نصر" أما بعد فإن الله تباركت أسماؤه وتعالى ذكره عيَّر قوماً فقال: ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا** ﴾ [فاطر/آية ٤٢-٤٣] فتعاظم نصر الكتاب، وأنه بدأ بنفسه، وكسر له إحدى عينيه، واطال الفكرة، ثم قال: هذا الكتاب [٩٠/ ب] له اخوات؛ وأرسل إليه نصر بعد ثمانية عشر شهراً من ظهوره مولى له يقال له يزيد في عسكر كثيف، فبعث إليه أبو مسلم مالك بن الهيثم الخزاعي، ومصعب بن قيس في مائتي رجل، وأمدهم من بعد، فحاربوا يزيد فكسروه، وحملوه إلى أبي مسلم، فداواه من جراحه وأحسن إليه ورده إلى مولاه، وأحلفه ألا يحاربه أبداً، وألا يكذب عليهم، وقال: هذا يرد عنا أهل الورع والصلاح فأنا عندهم على غير إسلام بني مروان[١].

[١] - انظر: حوادث سنة تسع وعشرين ومائة .

الخطأ في إثبات الحوادث في غير سنى وقوعها، ومنها: "وفي رجب من هذه السنة[١] أعتمر معاوية، وجرى بينه وبين الحسين بن علي عليهما السلام، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر ﷺ أجمعين في أمر بيعة يزيد كلام، فامتنعوا منها[٢].

وأيضاً: " فيها[٣] كتب هشام إلى يوسف بن عمر الثقفي، وهو على اليمن بولاية العراقين[٤].

وأيضاً: "وفيها[٥] قَتل نصرُ بن سيار الليثي جديعَ بن علي الكرماني، وصلبه، وكان نصر لا يزل يراسله، ويرغبه في الوفاق، هذا في سنة تسع وعشرين ومائة، مضاف إليه، ويخوفه عاقبة أمر أبي مسلم، واغتنم أبو مسلم اختلافهما، فوضع الكتب بما يزيدهما اختلافاً، وافتراقاً.

ثم أن أبا مسلم انضم إلى الكرماني، واظهر له الموافقة، فاشتد ذلك نصر، وراسله، مثل الأول، فأجابه إلى الموافقة، واستقر أن يدخل إلى مرو، يكتبا بينهما كتاباً بالصلح، وخرج الكرماني في مائة فارس يلتمس الكتاب، فوجدها نصر غرة منه، فأخرج إليه الحارث بن سريج الليثي، قتل الكرماني أباه في ثلثمائة فارس، فتواقعا وجرت بينهما حرب عظيمة، فقُتل الكرماني[٦]...وغير ذلك أشرنا له في موضعه.

النقد التاريخي:-

إن التاريخ الإسلامي لم يبدأ تدوينه إلا بعد زوال بني أمية وقيام دول لا يسر رجالها التحدث بمفاخر ذلك الماضي ومحاسن أهله، فتولى تدوين تاريخ الإسلام ثلاث طوائف: طائفة كانت تنشد العيش والجدة من التقرب إلى مبغضي بني أمية بما تكتبه وتؤلفه، وطائفة ظنت أن التدوين لا يتم، ولا يكون التقرب إلى الله، إلا بتشويه سمعة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ وبني عبد شمس جميعاً[٧]، وطائفة ثالثة من الإنصاف والدين- كالطبري وابن عساكر وابن الأثير

---

١ - انظر: حوادث سنة خمس وخمسين.

٢ - ذكرها الطبري في حوادث سنة ست وخمسين. انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك: جـ٥، صـ٢٢٨، وكذلك ابن كثير في البداية والنهاية. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١١،صـ٣٠٥.

٣ - انظر: حوادث سنة تسع عشرة ومائة.

٤ - ذكرها الطبري: تاريخ الأمم والملوك: جـ٧، صـ١١٣- ١١٨، ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٣، صـ ٩٥: في حوادث سنة عشرين ومائة.

٥- انظر: حوادث سنة ثمان وعشرين ومائة.

٦- ذكرها الطبري: تاريخ الأمم والملوك: جـ٧، صـ٢٧٧- ٢٧٩، ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٣، صـ ٢٢٩: في حوادث سنة تسع وعشرين ومائة.

٧- الشيعة الروافض .

وابن كثير– رأت أن من الإنصاف أن تجمع أخبار الإخباريين من كل المذاهب والمشارب– كلوط بن يحيى(أبو مخنف) الشيعي المحترق، وسيف بن عمر[١] – ولعل بعضهم اضطر إلى ذلك إرضاء لجهات كان يشعر بقوتها ومكانتها، وقد أثبت أكثر هؤلاء أسماء رواة الأخبار التي أوردها ليكون الباحث على بصيرة من كل خبر بالبحث عن حال راويه. وقد وصلنا إلى هذه التركة لا على أنها هي تاريخنا، بل على أنها مادة غزيرة للدرس والبحث يستخرج منها تاريخنا، وهذا ممكن وميسور إذا تولاه من يلاحظ مواطن القوة والضعف في هذه المراجع، وله من الألمعية ما يستخلص به حقيقة ما وقع ويجردها عن الذي لم يقع، مكتفيا بأصول الأخبار الصحيحة مجردة عن الزيادات الطارئة عليها. وإن الرجوع إلى كتب السنة، وملحوظات أئمة الأمة. مما يسهل هذه المهمة. وقد آن لنا أن نقوم بهذا الواجب الذي أبطأنا فيه كل الإبطاء، فلابد من الاستمرار على هذا المنهج في سبيل الحق– حتى يتغير فهم المسلمين لتاريخهم ويدركوا أسرار ما وقع في ماضيهم من معجزات[٢].

والمقريزي رحمه الله وعفى عنه، انتخب بعض الحوادث في تاريخ الدولة الأموية لا يناسبها طبيعة الكتاب من حيث الاختصار الذي شرطه – رحمه الله – على نفسه في مقدمته، حيث يثار حول هذه الحوادث شبهات تاريخية وعصبية، مما يلزم دراستها دراسة متأنية مُحققة تحقيقاً علمياً منصفاً، بضوابط شرعية، وخاصة أنها تمس فئة لها مكانتها في قلوب المسلمين، ولا يخفى على أحد من متخصصي التاريخ الإسلامي تعمد أعداء الإسلام تشويه صدر الإسلام في الروايات التاريخية، وخاصة الشيعة الروافض، ولقد أشار إلى هذا الأمر الإمام الطبري رحمه الله في مقدمة كتابه" تاريخ الأمم والملوك.

[١]- هو: أبو عبد الله، سيف بن عمر الأُسيدي التميمي، ويقال التميمي البرجمي، مصنف الفتوح والردة وغير ذلك، يروي عن خلق كثير من المجهولين، متروك الحديث، فكان سيف يضع الحديث، ومختلف في تاريخ وفاته. انظر: الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال: جـ٢، صـ٢٣٦، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي، وأخرون، مؤسسة الرسالة العالمية – دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

[٢] - انظر: محب الدين الخطيب: التعليق على العواصم من القواصم: جـ١، صـ١٧٧.